مجلة العميد

Journal Homepage: https://alameed.alameedcenter.iq/
ISSN: 2227-0345 (Print) ISSN 2311-9152 (Online)

نساء الطف أدوارهن الاجتماعية وانعكاساتها على أَخلاقية الموقف

احمد حسن قاسم [1]

١-جامعة ذي قار/ كلية التربية للبنات / قسم علوم القرآن، العراق؛ **ahmad4112009@gmail.com**
دكتوراه في الفكر الاسلامي / استاذ مساعد

تاريخ الاستلام:
١٥/ ٦/ ٢٠٢٢

تاريخ القبول:
١٥/ ٨/ ٢٠٢٢

تاريخ النشر:
٣٠/ ٩/ ٢٠٢٢

الكلمـات المفتاحية:
الطف، نساء، زينب، أم وهب، قمرى، زوجة، ام كلثوم، رملة

المجلـد (١١) العـدد (٤٣)
صفر ١٤٤٤هـ-أيلول٢٠٢٢م

DOI:
10.55568/amd.v11i43.23-46

CC BY NC

ملخص البحث:

الحمدُ للهِ ربّ العالمين والصلاةُ والسّلامُ على أشرفِ الأنبياء والمرسلين أبي القاسم مُحمَّد وعلى آله والطيبينَ الطاهرينَ.

الوجود الكونيّ يكادُ لا يخرجُ عن المتضادات التّكامليّة الإعجازيّة لمدبّرٍ واحدٍ يملكُ زمام الأمور، فشاء عزَّ وجلَّ أن يجعلَ للإنسان - الذَكر والأنثى - الأفضلية على خلقه مهيّئا الأرض لخدمته، وشاء التفكير البشريّ الناقص بأن يفضّل الذكر على الأنثى، ولم يكتفِ بهذا بل انتقص وجودها كسلعة بالية تباع وتُشترى بأبخس الأثمان، وأسقط حقوقها كنظير لهم في الخَلق، وأزهق روحها بدفنها حية، حتى جاء الإسلام، فأعطاها مكانةً عظيمةً، إذ أخرجها من الظُّلمات إلى النُّورِ جاعلاً لها كياناً مستقلاً ومبيّنا منزلتها فلا تختلف عن الرجل سوى في الحقوق والواجبات، فقال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٨٢٢].

كما خوطبن بمستوى واحد مع الرجال، وجعل الفارق الوحيد هو التقوى كما هو معيار بين الرجال أنفسهم والنساء، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات : ٣١]، فلو انتفى دور المرأة في تنقلاتها الاجتماعية كأم أو أخت أو زوجة أو بنت، ستنتفي أيضا تنقلات الرجل كأب أو أخ أو زوج أو ابن، لذا فلكل منهما كيانه التكميلي المستقل، ومن هذا المنطلق أشرك أبو عبد الله الإمام الحسين ﷺ النساء في ثورته، فلم ينظر لهن نظرة دونية تختلف عن الرجال، فكُتب على الرجال القتل والقتال، وعليهن المعاضدة في الصبر والعطاء، وصولاً لهدف واحد وموقف واحد، وهذا الذي لم يفهمه البعض، فاعترضوا على المولى ﷺ في خروجهن معه سيرًا نحو كربلاء المُقدّسة.

Altaff Women: Reflection of Their Social Role on Stance Ethics

Ahamed Hassan Qassim [1]

1-University of Theqar/ College of Education for Girls/ Dept of Quranic Sciences, Iraq;

ahmad4112009@gmail.com

PhD. in Islamic Thought / Assistant Professor

Received:
15/6/2022
Accepted:
15/8/2022
Published:
30/9/2022

Keywords:
Al-Tuff, women, Zainab, Umm Wahb, Qamari, wife, Umm Kulthum, Ramla

Al-Ameed Journal
Volume (**11**)
Issue (**43**)
Safar 1444 H
September 2022

DOI:
10.55568/amd.v11i43.23-46

CC BY NC

Abstract

Praise be to God, Lord of the Worlds, and prayers and peace be upon the most honorable of the prophets and messengers, Abu al-Qasim Muhammad, and upon his family and the good and pure. The cosmic existence almost does not deviate from the complementary and miraculous contradictions of one mastermind who has control over matters, so the Almighty wanted to give humans priority over his creation, preparing the earth for his service. The imperfect human thinking wanted to give preference to the male over the female, and it was not satisfied with this, but rather diminished her existence as an obsolete commodity that is sold and bought at the lowest price, and he forfeited her rights as their counterparts in the creation and took her soul by burying her alive, until Islam came, and gave her a great position, by bringing her out of darkness into the light, making her an independent entity and clarifying her status, and she does not differ from men except in rights and duties.

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [Al-Baqarah: 228]

They were engaged on the same level with men, and the only difference was made of piety, as is the standard between men and women

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: 13]

If the woman's role in her social movement as a mother, sister, wife or daughter is absent, the man's movement as a father, brother, husband or son will also be absent, Therefore, each of them has an independent complementary entity, and from this standpoint, Abu Abdullah Imam al-Hussain (peace be upon him) involved women in his revolution, so he did not look at them with an inferior view that differs from men. so the men were written to kill and fight, and they have to support in patience and giving, in order to reach one goal and one position, and this is what some did not understand, so they objected to the Lord (peace be upon him) in their going out with him to the holy Karbala.

المقدمة:

الحمدُ لله ربّ العالمين والصلاةُ والسّلامُ على أشرفِ الأنبياء والمرسلين أبي القاسم مُحَمَّد وعلى آله والطيبينَ الطاهرينَ.

الوجود الكونيّ يكادُ لا يخرجُ عن المتضادات التّكامليّة الإعجازيّة لمدبّرٍ واحدٍ يملكُ زمام الأمور، فشاء عزَّ وجلَّ أن يجعلَ للإنسان – الذَكر والأنثى – الأفضلية على خلقه مهيّئا الأرض لخدمته، وشاء التفكير البشريّ الناقص بأَنَّ يفضّل الذكر على الأنثى، ولم يكتفِ بهذا بل انتقص وجودها كسلعة بالية تباع وتُشترى بأبخس الأثمان، وأسقط حقوقها كنظير لهم في الخَلق، وأزهق روحها بدفنها حية، حتى جاء الإسلام، فأعطاها مكانةً عظيمةً، إذ أخرجها من الظُّلمات إِلى النُّورِ جاعلاً لها كياناً مستقلاً ومبيّنا منزلتها فلا تختلف عن الرجل سوى في الحقوق والواجبات، فقال تعالِى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة : ٢٢٨].

كما خوطبن بمستوى واحد مع الرجال، وجعل الفارق الوحيد هو التقوى كما هو معيار بين الرجال أنفسهم والنساء، قال تعالِى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات : ١٣]، فلو انتفى دور المرأة في تنقلاتها الاجتماعية كأم أو أخت أو زوجة أو بنت، ستنتفي أيضا تنقلات الرجل كأب أو أخ أو زوج أو ابن، لذا فلكل منهما كيانه التكميلي المستقل، ومن هذا المنطلق أشرك أبو عبد الله الإِمام الحسين ﷺالنساء في ثورته، فلم ينظر لهن نظرة دونية تختلف عن الرجال، فكُتب على الرجال القتل والقتال، وعليهن المعاضدة في الصبر والعطاء، وصولاً لهدف واحد وموقف واحد، وهذا الذي لم يفهمه بعضهم ، فاعترضوا على المولى ﷺفي خروجهنَّ معه سيرًا نحو كربلاء المُقدّسة.

●**هدف البحث: يهدف البحث إِلى أَمرين هما:**

١-اظهار القيم الأَخلاقية التي تجسدت من خلال مواقف النسوة اللاتي يقدر بقدر الدور الاجتماعي التي قامن به.

٢-الملازمة بين الدور الاجتماعي والقيم الأَخلاقية، فهما منظومتان متلازمتان، فاذا انفكت احدى عن الاخرى نتج مجتمعا اق ما يقال عنه خارج الدائرة التي يريدها الله تعإِلى.

●**أَهمية البحث: تكمن أَهمية البحث في أَمرين هما:**

١-بيان الدور الاجتماعي الذي تمثلت به المرأة يوم الطف، دور الأُم والأُخت والزوجة.

٢-الوقوف على مستوى التضحيات التي لا تقل عن تضحيات الرجال في يوم عاشوراء.

●**مشكلة البحث: يحاول البحث الإِجابة عن الأَسئلة الآتية وهي:**

١-لماذا أَشرك الإِمام الحسين ﷺالنساء في ثورته؟

٢-هل حضور النساء كان أَمرا قهريا لهن أَم اختياري؟

٣-ما البعد الاجتماعي الذي نستفيده من حضور النساء في الطف؟

٤-أي نظرة كان ينظر بها الإِمام الحسين ﷺللمرأة؟

٥-كيف لنا ان نفهم دور المرأة في الطف وانعكاسه على واقعنا كموقف للتأسي؟

٦-اذا انتفت الأَخلاق من المواقف مآلها إِلى أَين؟

●**هيكلية البحث: يتضمن البحث مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة، مرتبة على النحو الآتي:**

–المقدمة: تضمن سبب اختيار البحث، وأَهميته، ومشكلته، وهيكليته.

–التمهيد: الإِجابة فيه عن سؤالين مهمين.

–المبحث الاول: دور المرأة كأُمٍّ وموقفها.

-المبحث الثاني: دور المرأة كزوجة وموقفها.

-المبحث الثالث: دور المرأة كأخت وموقفها.

-خاتمة: ذكرت فيها أَهم النتائج التي توصلت اليها.

وفي الختام أسال الله تعالِى ان يمن عليه بإتمام بحثي، وإنجازه كما ينبغي أنه ولي كل نعمة ومنتهى كل رغبة، والحمد لله أَوَّلا وأخراً.

التمهيد

قبل خوض غمار البحث لابدَّ من بيان أُمور هامة متعلقة في أَصل البحث، إِذ تشكل القاعدة الاساسية في تقعيد مفاهيم البحث، وكذلك المعرفة الكاملة في تحديد مخرجاته ونتائجه، وهي عبارة عن اسئلة تتم الإِجابة عليها، وهي:

السؤال الاول: ما الغاية من حمل الإِمام الحسين ﷺ النساء معه إِلى الحرب؟

جوابه: نعتقد اعتقادا لا يعتريه زيغ او شبهة بأَنَّ الإِمام الحسين ﷺإِمام معصوم أَفعاله مقصودة، ولا يصدر منه عمل دون علم بغايته ومنتاه، فهو أَصلح أَهل زمانه وأَعلمهم وسيدهم، فإقدامه على حمل نساء فعل له غاية العقلائية، وربما يتوهَّم بعض الكتّاب بأَنَّ الإِمام الحسين ﷺحمل معه النساء لأنه جاء على طلب من أَهل العراق ولا يدري بعواقب الامور، بمعنى لم يكن بحسبانه الحرب أَو الانقلاب عليه، وهذا في حقيقته تسطيح للنهضة الحسينية واستنقاص من شخصية الإِمام الحسين وحنكته كقائد انيطت به مسؤولية كربلاء. وخصوصا لدينا من النصوص الكثيرة التي تنفي هذا التوهُّم، وتصرح بأَنَّ الإِمام الحسين ﷺعلى علم بعاقبة امره، ونهاية مصيره، روى الشيخ السيد ابن طاووس بسند متصل قال: انه لما عزم على الخروج إِلى العراق قام خطيباً، فقال: «**الحمد لله ما شاء الله ولا قوة إلا بالله وصلى الله على رسوله وسلم، خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إِلى اشتياق أسلافي اشتياق يعقوب إِلى يوسف، وخيَّر لي مصرعٌ أنا لاقيه، كأني بأوصالي تقطعها ذئاب الفلوات بين النواويس وكربلاء، فيملأن مني أكراشاً جوفا وأجربةً سغبا، لا محيص**

عن يوم خط بالقلم...[١]. وقد أَعلنها الإِمام الحسين عليه السلام أَيضا لمحمد بن الحنفية عندما سأله عن سبب خروجه قالا: قال: فما حداك على الخروج عاجلاً؟ فقال: «**أتاني رسول الله صلى الله عليه وآله بعدما فارقتك، فقال: يا حسين، أخرج، فإن الله قد شاء أن يراك قتيلاً**». فقال محمد بن الحنفية: إنا لله وإنا إليه راجعون، فما معنى حملك هؤلاء النساء معك وأنت تخرج على مثل هذا الحال؟ قال: فقال له: «**قد قال لي: إن الله قد شاء أن يراهنَّ سبايا**[٢]». ومن هنا يتبين بأَنَّ حمل النساء لم يكن أَمراً هامشيا او يخلو من غاية، وسأكتفي في الإِجابة عن الغاية بذكر اجابتين عميقتين ذكرها الاعلام هما:

أَوَّلا: قال الشيخ محمد حسين ال كاشف الغطاء: (وهل تشك وترتاب في ان الحسين عليه السلام لو قتل هو وولده، ولم يتعقبه قيام تلك الحرائر في تلك المقامات بتلك التحديات لذهب قتله جُبارا ولم يطلب به احد ثارا، ولضاع دمه هدرا، ولم يكن قتله الا قتل عبد الله بن الزبير...فكان الحسين عليه السلام يعلم ان هذا عمل لا بد منه، وانه لا يقوم به الا بتلك العقائل فوجب عليه حتما ان يحملهن معه لا لأجل المظلومية بسبيهن فقط...بل لنظر سياسي وفكر عميق، وهو تكميل الغرض، وبلوغ الغاية من قلب الدولة على يزيد والمبادرة إِلى القضاء عليها قبل ان تقضي على الاسلام وتعود الناس إِلى جاهليتها الاولى)[٣].

ثانيا: قال الدكتور احمد محمود صبحي: (ثم رفض-الإِمام الحسين- الا ان يصحب أَهله ليشهد الناس على ما يقترفه أعداؤه بما لا يبرره دين ولا وازع من إنسانية، فلا تضيع قضيته مع دمه المراق في الصحراء فيفترى عليه اشد الافتراء حين يعدم الشاهد العادل على كل ما جرى بينه وبين اعدائه. فتقول الدكتورة بنت الشاطئ: (أفسدت زينب أخت الحسين على ابن زياد وبني أمية لذة النصر، وسكبت قطرات من السم الزعاف في كؤوس الظافرين، وان والاحداث السياسية التي ترتبت بعد ذلك من خروج المختار، وثورة ابن الزبير، وسقوط الدولة الاموية، وقيام الدولة العباسية، تأصيل مذهب الشيعة انما كانت زينب هي باعثة ذلك ومثيرته[٤] أُريد أَنْ أَقول: ماذا يكون الحال لو قتل الحسين ومن معه جميعا من الرجال؟ الا ان يسجل التاريخ هذه الحادثة الخطيرة من وجهة نظر

١ ابن طاووس، علي بن موسى، الملهوف في على قتلى الطفوف، ط٣ (ايران: دار الاسرة للطباعة والنشر، د.ت.)، ١٢٥-٢٦.
٢ موسى، ١٢٨.
٣ آل كاشف الغطاء، محمد حسين، نبذة من السياسية الحسينية، د.ط. (بيروت: دار المحجة البيضاء، د.ت.)، ٧٥-٧٧.
٤ بنت الشاطئ، عائشة عبد الرحمن، السيدة زينب، ط١ (بيروت: دار الكتاب العربي، د.ت.)، ١٥٨.

اعدائه، فيضيع كل اثر لقضيته مع دمه المسفوك في الصحراء؟!)[٥]. من هنا تتضح الغاية التي دعت الإِمام الحسين عليه السلام إِلى حمله النساء واشراكهن في واقعة كربلاء.

السؤال الثاني: كم عدد النسوة اللاتي شهدن واقعة كربلاء.

جوابه: ذكر عماد الدين الطبري بأَنَّ عدد النساء عشرون امرأة، إِذْ قال: (ولما أَصبح الصباح – الحادي عشر من المحرم- أَعطى –عمر بن سعد- الرأَس إِلى خولي وحميد وأرسلها إِلى عبيد بن زياد لعنهما الله في الكوفة، واعطى باقي الرؤوس من الاصحاب وأَهل البيت عليهم السلام وكان عددها اثنين وسبعين... وبقي عمر بن سعد في كربلاء اليوم كله، واليوم الثاني إِلى الزوال، وأَوكل بالإِمام زين العابدين عليه السلام وجماعة النساء من رجاله من يوثق بهم، وكان عدد النساء عشرين امرأة)[٦]. وقد تابعه على هذا العدد نفسه المحدث الشيخ عباس القمي، إِذْ قال: (ووكل-عمر بن سعد- جميع المشائخ والمعتمدين على الإِمام زين العابدين عليه السلام وبنات أَمير المؤمنين عليه السلام وسائر النساء وكن جميعهن عشرين نسوة)[٧]. وقد ذكر الكرباسي في دائرة المعارف ممن ترجم لهن أَربعين امرأة من نساء الطف[٨]. بينما ذكر السيد الزنجاني إِحدى وستين امرأَة في تفصيل طويل حاصله : اثنتان وأَربعون امرأَة، ومعهنَّ عشر من البنات وتسع من الجواري[٩]. وسأقتصر على ذكر ممن ورد ذكرها في الأَخبار، وهنَّ سبع عشرة امرأَة[١٠]:

١-زينب الكبرى بنت امير المؤمنين عليهما السلام.

٢-ام كلثوم بنت أمير المؤمنين عليهما السلام.

٣-فاطمة بنت امير المؤمنين عليهما السلام. وهي زوجة أَبي سعيد بن عقيل بن ابي طالب.

٤-خديجة بنت امير المؤمنين عليه السلام وهي زوجة عبد الرحمن بن عقيل استشهد في كربلاء.

٥-الرباب بنت امرؤ القيس زوجة الإِمام الحسين عليه السلام، ام عبد الله الرضيع.

٦-سكينة بنت الإِمام الحسين عليه السلام.

٥ صبحي، أحمد محمود، نظرية الإمامة لدى الشيعة الإثنى عشرية، ط١ (بيروت: دار النهضة العربية، د.ت.)، ٣٤٣.
٦ الطبري، عماد الدين الحسن بن علي، كامل البهائي، ط١ (قم المقدسة: انتشارات المكتبة الحيدرية، د.ت.)، ٣٥٦/ ٢.
٧ القمي، عباس، نفس المهموم في مصيبة سيدنا الحسين المظلوم، ط١ (بيروت: دار المحجة البيضاء، د.ت.)، ٣٥١.
٨ الكرباسي، محمد صادق محمد، دائرة المعارف الحسينية، ط١ (لندن: المركز الحسيني للدراسات، د.ت.)، ١٥.
٩ الزنجاني، ابراهيم الموسوي، وسيلة الدارين في انصار الحسين، د.ط.، د.ت.، ٤٣٢.
١٠ آل سيف، فوزي، من قضايا النهضة الحسينة اسئلة وحوارات، ط٤ (اطياف، د.ت.)، ٢٥٨.

٧-رقية بنت الإمام الحسين عليه السلام التي توفيت في خربة الشام.
٨-حميدة بنت مسلم بن عقيل عليه السلام.
٩-رقية بنت امير المؤمنين زوجة مسلم بن عقيل عليه السلام.
١٠-ام وهب الكلبي زوجة عبد الله بن عمير الكلبي.
١١-ام عبد الله بن عمير.
١٢-ام عمرو بن جنادة بن الحارث السلمي.
١٣-جارية لمسلم بن عوسجة.
١٤-ام عبيد الله زوجة الإمام الحسن المجتبى عليه السلام.
١٥-فاطمة بنت الإمام الحسن المجتبى عليه السلام زوجة الإمام زين العابدين عليه السلام، وام الإمام الباقر عليه السلام.
١٦-رملة زوجة الإمام الحسن المجتبى عليه السلام أُمّ القاسم.
١٧-ليلى زوجة الإمام الحسين عليه السلام ام علي الاكبر.

أَقول: إنَّ عدد النسوة المذكور «اعلاه» ليس عددا حصريا ممن تمَّ ذكرهنَّ في الأَخبار، فعددهنَّ يفوق ما ذُكر، لأسباب عدَّة منها:

١٨-**السبب الاول**: المهام الكبرى التي أُلقيت على عاتق السيدة زينب عليها السلام إِذْ إِنَّها غطَّت بدورها الكبير وتحملها المسؤولية بعد استشهاد الإمام الحسين وأَهل بيتها عليهم السلام، على جميع النسوة اللاتي معها، وربما يعود ذلك لأمور هي:

١-عمرها المتقدم فقد تجاوز عمرها السادسة والخمسين عاما ومما لا شك انَّه ينعكس على أَخذ زمام الامور.
١٩-منزلتها الاجتماعية والدينية فهي بنت السيدة الزهراء وأَمير المؤمنين عليهما السلام، وقد ورثت منهما ما لم يورثه الآخرون لأَبنائهم.

٢-قوة ايمانها وعقيدتها بالله تعالى، وتمسكها بقضيتها جعل منها شخصية قياديَّة مطمئنة بكلِّ ما جرى ويجري.

السبب الثاني: من الطبيعي صحبة زوجات أَنصار الإِمام الحسين عليه السلام لأزواجهم وكذلك عندهم جوراي، وخاصة بعض أَنصار الإِمام الحسين عليه السلام قد اتوا من أَمكان بعيدة.

السبب الثالث: الوضع السائد آنذاك من التكتم على المرأة وسترها كما ينبغي بل تكون مقطوعة الصلة تماما عن الرجال ما لم تكن حاجة ماسة او ضرورة دينية، فهذا الكتم والتعتيم ينتج الجهالة بوضع النساء، وهذا واضح من سيرة السيدة زينب عليها السلام لم تكن الأَضواء مسلطة عليها قبل واقعة الطف لأَن الضرورة منفية، فالمرأة تظهر في الوسط الديني الذي يريده أَهل البيت عليهم السلام بالموقف الذي يطلبه منها الدين.

المبحث الاول: دورها الاجتماعي (الأُمومة) وانعكاسه على الأَخلاقي.

سأتطرَّق هنا إِلى دور الأُم في واقعة الطف، والآثار النفسية التي نتجت من هذا الدور الاجتماعي، في صلابة الموقف، وأذكر نماذج ثلاثة فقط من تلك النسوة.

أَوَّلا: أم وهب بنت وهب:

هي أُمُّ وهب بن وهب الكلبي وقيل بن حباب الكلبي، وكانا على الديانة النصرانية، قد أَسلما على يد الإِمام الحسين عليه السلام، قال الشيخ الصدوق: (وبرز من بعده- أي بعد زياد بن مهاجر- وهب بن وهب وكان نصرانيا أَسلم على يد الإِمام الحسين عليه السلام هو وامه فاتبعوه إِلى كربلاء)[١١].

ان وهبا التحق بركب الحسين عليه السلام وهو بقصر بني مقاتل. ومعنى ذلك بأَنَّ انه التقى بالإِمام الحسين عليه السلام يوم السابع والعشرين من ذي الحجة من عام ستين للهجرة[١٢]. حضر وهب مع أُمِّه وزجته واقعة كربلاء. قالت له أُمُّه: قم يا بني فانصر ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله. فقال: أَفعل يا اماه ولا أُقصِّر فبرز وهو يقول:

إنْ تنكروني فانا ابـن الكلبي	سوف تـــــروني وترون ضربي
وحملتي وصولتي في الحرب	أَدرك ثـــــاري بعد ثار صحبي
وأَدفع الكرب أمام الكـرب	ليس جهادي في الوغي باللعب

١١ الصدوق، ابو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي، ط١ (بيروت: مؤسسة الأَعلمي للمطبوعات، د.ت.)، ١٢٤.
١٢ محمد، دائرة المعارف الحسينية، ٢١٢/ ١٥.

ثم حمل ولم يزل يقاتل حتى قتل جماعة، ثم رجع إِلى أُمه وامرأته. وقال: يا أُماه ارضيت؟ فقالت: ما رضيت حتى تقتل بين يدي الحسين عليه السلام. فقالت امرأته بالله عليك لا تفجعني بنفسك. فقالت له أُمه يا بني أعزب عن قولها، وارجع فقاتل بين يدي ابن بنت نبيك تنل شفاعة جدِّه يوم القيامة. فرجع فلم يزل يقاتل حتَّى قطعت يداه، واجتمع عليه القوم واردوه قتيلاً[١٣].

ثانيا: بحرية بنت مسعود الخزرجي.

وهي بحرية بنت مسعود الخزرجي أُم عمرو بن جنادة الأَنصاري، استشهد زوجها في الحملة الأُولى من واقعة كربلاء، وكان لها غلام صغير، عمره في رواية تسع سنين وأُخرى احدى عشر سنة[١٤]. فجاء يستأذن الإِمام الحسين عليه السلام للمشاركة في القتال؛ امتثالا لأمر أمِّه التي دفعت به صوب المعركة، فقالت له: يا ولدي قم وانصر ريحانة رسول الله، بعدما ألبسته لامة حربه، فخرج يستأذن من الحسين عليه السلام.

فأبى الإِمام الحسين عليه السلام خروجه قائلاً: هذا غلامٌ قُتل أبوه في الحملةِ الاولى، ولعلّ أمّه تكره ذلك. فأقبل عمرو يسعى نحو سيد الشهداء عليه السلام خائفا من أن يصدَّه أَصحاب أبي عبد الله عليه السلام عن مراده وقصده. فقال: إنَّ أمي أمرتني بالخروج! فأذن له سيد الشهداء بعد أن رأى رغبته في المشاركة، فخرج مرتجزًا:

أميري حسينٌ ونعم الأمـــير سرور فؤاد البشير النذير
علـيٌّ وفـــاطمة والـــــداه فهل تعلمون له من نظير
له طلعةٌ مثل شمس الضحى لـــــه غرَّة مثل بدر منير

فسرعان ما قُتل، ورمي برأسه صوب الإِمام الحسين عليه السلام فأخذته أمه ومسحت الدم عنه، وضربت به رجلا من أعداء الله كان قريبًا منها فمات، وعادت إِلى المخيم فأخذت عمودا وقيل سيفا وقالت:

١٣ الأمين، محسن، لواعج الاشجان في مقتل الإمام الحسين، ط١ (الكويت: مكتبة الالفين، د.ت.)، ١٠٩.
١٤ الموسوي، وسيلة الدارين في انصار الحسين، ١٧٤.

إني عجوز في النســـا ضعيفة خـــــــاوية بالية نحيفة
أضربكم بضـــــــربة عنيفة دون بني فاطمة الشريفة

فأصابت رجلين من عسكر الأعداء، فردها الإمام الحسين ﷺبعد ذلك إلى الخيمة حفاظًا عليها لكي لا تنتهك حرمتها أمام أعداء الله. وهذا الموقف لأم عمرو الأنصاري يعجز اللسان ويكلّ البيان عن وصفه ؛ لأنها فقدت زوجها وابنها ولم تكتفِ بذلك بل سارعت للفداء بنفسها بغية نصرة الإسلام وقائدها[١٥].

ثالثا: أُمُّ القاسم رملة الرومية.

رملة الرومية وقيل انَّها نجمة والأَول أَشهر، هي زوجة الإمام الحسن المجتبى ﷺوهي أُمُّ ولد ولها ولدان استشهدا في يوم عاشوراء، وهما: عبد الله الاكبر، والقاسم، الا انها اشتهرت بأم القاسم[١٦].

جمع الإمام الحسين ﷺليلة عاشوراء أَهله وأَصحابه فقال لهم: يا أَهلي وشيعتي اتخذوا هذا الليل جملا لكم، وانجوا بأنفسكم، فليس المطلوب غيري، ولو قتلوني ما فكروا فيكم، فانجو رحمكم الله وانتم في حلٍّ وسعة من بيعتي وعهدي الذي عاهدتموني. فقال أُخوته وأَهله وأَنصاره بلسان واحد: والله يا سيدنا يا عبد الله، لا خذلناك أَبدا، والله لا قال الناس تركوا امامهم وكبيرهم وسيدهم وحده حتي قتل...[١٧]

يقول الشيخ الكاشي معلقا على هذا التجمع: إنَّ الإمام الحسين ﷺكشف لأصحابه ليلة العاشر من المحرم عن عالم البرزخ، وأَراهم منازلهم في الجنة. عدا القاسم ﷺفانسل باكيا حزينا، فأَقبل إلى أُمِّه رملة، قال: أُماه إنَّ عمي الحسين أرى أَصحابه وأهل بيته منازلهم ولم يرني شيئا، فلعلي لا أُوفق للشهادة بين يدي عمي، فأخذت رملة بيد ولدها وأقبلت به إلى الحسين ﷺ.

فقالت: سيدي أَبا عبد الله اسمع ما يقول القاسم، فالتفت الحسين ﷺاليه قال: يا بن أَخي كيف تجد الموت بين يدي؟ فقال: والله يا عمي ان الموت بين يديك أَحلى عندي من العسل، فقال ﷺ: أَبشر يابن أَخي إنَّك تقتل بين يدي[١٨].

١٥ الكعبي، مقتل الإمام الحسين، ط١ (قم المقدسة: المكتبة الحيدرية، د.ت.)، ٥٧.
١٦ الموسوي، وسيلة الدارين في انصار الحسين، ٢٥٤.
١٧ المحلاتي، ذبيح الله، فرسان الهيجاء في تراجم اصحاب سيد الشهداء، ط١ (قم المقدسة: المكتبة الحيدرية، د.ت.)، ٤٠/ ٢.
١٨ الكاشي، الطريق إلى منبر الحسين لنيل سعادة الدارين، ط٣ (قم المقدسة: انتشارات المكتبة الحيدرية، د.ت.)، ٢٢٧.

فاستأذن يوم عاشوراء وكان وجهة شقة قمر، فقام الإمام الحسين عليه السلام بشق أزياق القاسم وقطع عمامته نصفين ثم أدلاها على وجه ثم ألبسه ثيابه بصورة الكفن وشد سيفه بوسط القاسم وأرسله إلى المعركة، فخرج ودموعه تسيل على خذه[١٩]. فما لبث الا شدَّ عليه عمرو بن سعد الازدي فضرب راسه بالسيف، فوقع القاسم لوجهه. فقال: يا عماه، وأُمَّه واقفة بباب الخيمة تنظر اليه مدهوشة[٢٠].

أَخلاقية الموقف:

وبعد استعراض تلك المواقف الكبيرة والتضحيات الجسيمة، لبعض نساء عاشوراء التي تمثل دورها بدور الأُمومة، سأخلص بعض الدروس الأَخلاقية والعبر التربوية التي جسدتها الأُمُّ في انتاج الموقف. وهي على النحو الآتي:

أَوَّلا: الإِيمان الصادق: الذي تجلى عند ام وهب، فهي على الديانة المسحية ولم تدخل بالدين الاسلامي الا ثلاثة عشر يوما، عندما أَسلم على يد الإِمام الحسين عليه السلام مع وهب وزوجته. ويعكس هذا الإِسلام الروح الصادقة المؤمنة التي وعت إِمام زمانها، بينما نجد أَنَّ كثيرا ممن وولدوا مسلمين أَو ممن رأوا النبي الأَكرم صلى الله عليه وآله من الصحابة لم يلتحقوا بالإِمام الحسين عليه السلام بل كان لهم موقفٌ سلبيٌّ من نهضته وخروجه، وهذا إِنْ دلَّ على شيء فإِنَّه يدلُّ على الروح الطاهرة والنيَّة الخالصة التي تمتلكها تلك النسوة الكريمات.

ثانيا: الإِصرار على الموقف: والثبات عليه لم تتزلزل قلبوهن ونحن يرين أفلاذ أَكبادهم أَمامهن يجزروا جزر الأَضاحي. ويعلم الجميع أَنَّ شعور الأُمّ تجاه أبنائها لا يعادله شعور، فتكون أضعف ما تكون أَمام ولدها وتقدم مشاعرها قبل كل شيء للعلاقة الرابطة بينها وبين ولدها، الا انَّ هذا المفهوم تلاشى أَمام التضحيات، فنجد بأَنَّ الأُم هي من تدفع بولدها للحرب وتقول له لم أَرضَ عنك الا أَراك قتيلاً، وتأخذ بولدها الصغير لتتوسط له حتى يقبله الإِمام الحسين عليه السلام ويأذن له بالقتال.

ثالثا: الأُسوة الحسنة، فأَصبحن الأُمهات من نساء كربلاء بهذه المواقف العظيمة الاسوة الحسنة لما تريد ان تتأسى بهن في تقديم الأَبناء في سبيل الله تعالى، وخصوصا بأَنَّ الامهات في يوم عاشوراء

١٩ المحلاتي، فرسان الهيجاء في تراجم اصحاب سيد الشهداء، ٣٥/ ٢.
٢٠ الكعبي، مقتل الإِمام الحسين، ٦٧.

لم تفجع بمصاب واحد، فنجد مثلا أُمّ عمرو بن جنادة، قدمت زوجها ومن الطبيعي يكون تعلق الأُمّ بولدها عند غياب الأَب، وهذا السبب الذي دفع الإِمام الحسين ﷺبأَنَّ يمنع عمرا من الخروج للحرب الا انَّ جوابه كان أُمِّي هي من دفعتي للحرب. وكذلك الحال مع رملة زوجة الإِمام الحسن ﷺفهي قدَّمت ولدين، وكانت من تدفع بالقاسم إِلى القتال والشهادة. هذه المواقف الخالدة جعلت منهن أُسوة حسنة لجميع من سار على خط التضحية والفداء.

المبحث الثاني: الدور الاجتماعي (الزوجية) وانعكاسه الأَخلاقي.

أَوَّلا: زوجة عبد الله بن عمير الكلبي.

وهي قمرى بنت عبد من بني النمر بن قاسط، وتكنى بأمِّ وهب وزوجها عبد الله بن عمير بن عباس الكلبي الكوفي[٢١]. وعبد لله بن عمير الكلبي، كان شجاعاً باسلًا قويّ الساعدين، ينزل في الكوفة بالقرب من بئر (همدان) خرج ذات يوم فرأى عسكراً مجرّاً يُساق نحو النخيلة، فقال ابن عمير في نفسه: أُقسم بالله لأنا أشدّ حرصاً على قتال الكافرين إلا أنّ قتال هؤلاء الذين يريدون قتل ابن النبيّ أرجو أن لا يكون أدنى ثواباً من ذاك، ثمّ دخل بيته وكلّم زوجته، بالأمر، فقالت له: أحسنت صنعاً ولكن خذني معك. فلما جنَّ الليل خرج وزوجته تلقاء كربلاء ووصل إِلى الحضرة الحسينية يوم الثامن، فنال شرف اللقاء بالإِمام الحسين ﷺ، ولما كان يوم العاشر تقدَّم بين يدي الإِمام الحسين ﷺ[٢٢]. وهو يرتجز يقول:

إِنْ تنكروني فأنا ابن كلب حسبي ببيتي في عليم حسبي
إِنِّي امرؤ ذو مرَّة وعصب ولست بالخوَّار عند النكـــبِ
إِنِّي زعيم لك أُمّ وهـــبِ بالطعنِ فيهم مقدما والضربِ
ضرب غلام مؤمن بالربِّ

فأخذت أُمّ وهب امرأته عمودا ثم اقبلت نحو زوجها تقول له: فداك أَبي وأُمّي قاتل دون الطيبين ذرية محمد، فأقبل اليها يردها نحو النساء، فأخذت تجاذب ثوبه ثم قالت: إِنِّي لن أَدعك دون أن أَموت معك، فناداها حسين فقال: جزيتم من أَهل بيت خيرا، ارجعي رحمك الله إِلى النساء فاجلسي معهن فانَّه ليس على النساء قتال، فانصرفت إِليهن[٢٣].

٢١ محمد، دائرة المعارف الحسينية، ١٥/ ٢١٠.
٢٢ المحلاتي، فرسان الهيجاء في تراجم اصحاب سيد الشهداء، ١/ ٣٤٦.
٢٣ أبو مخنف، لوط بن يحيى الازدي، مقتل الإِمام الحسين، د.ط. (قم: جاجخانة علمية، د.ت.)، ١٢٤.

فأُخذ أَسيرا وقتل صبرا، فمشت إِليه زوجته أُمّ وهب وجلست عند رأسه تمسح الدم عنه وتقول: هنيئا لك الجنة، أَسأَل الله الذي رزقك الجنة ان يصحبني معك.

فقال الشمر لغلامه رستم: اضرب رأسها بالعمود، فشدخه وماتت مكانها، وهي أَوَّل امرأة قتلت من أَصحاب الإِمام الحسين ﷺ[٢٤].

ثانيا: دلهم بنت عمرو الكوفية.

وهي دلهم بن عمرو الكوفية، وقيل اسمها ديلم، وهي زوجة زهير بن القين الانماري البجلي وهو من الرجال المرموقين ومن فرسان صائدي الأُسود ومن الخطباء الفحول[٢٥]. ودلهم من النساء المؤمنات المواليات لأهل البيت ﷺ شجعت زوجها على إِجابة الإِمام الحسين ﷺ[٢٦]. ولم تحضر بنفسها إِلى كربلاء الا انَّ موقفها عظيم في شحذ همة زوجها ودفعه إِلى الالتحاق بركب الإِمام الحسين ﷺ.

فقد جاء في الأَخبار: ان زهير بن القين وأَصحابه كانوا من فزارة وبجيلة يجانبون الإِمام الحسين ﷺ حتى نازلوه في منزل ونزلوا عنه جانبا فبينا نحن نتغدى من طعام لنا إِذ أقبل رسول الحسين ﷺ وسلّم، ثم دخل، والتفت إِلى زهير. فقال: يا زهير بن القين إِنَّ أَبا عبدالله الحسين ﷺ بعثني إِليك لتأتيه، فطرح كل انسان منّا ما في يده، حتى كأنما على رؤوسنا الطير، كراهية ان يذهب زهير إِلى الحسين ﷺ، فقالت له امرأته: سبحان الله، أيبعث إليك ابن رسول الله ﷺ ثم لا تأتيه؟!، لو أتيته فسمعت كلامه ثم انصرفت.

وعندما عزم الالتحاق بالإِمام الحسين بكت وودعته وقالت: خار الله لك، أسألك ان تذكرني يوم القيامة عند جد الحسين ﷺ[٢٧].

وأَسلمه الإِمام الحسين ﷺ يوم عاشوراء ميمنة عسكره، ثم استأذن بالخروج، فوضع يده على منكب الإِمام الحسين ﷺ، وقال:

٢٤ الكعبي، مقتل الإمام الحسين، ٤١.
٢٥ المحلاتي، فرسان الهيجاء في تراجم اصحاب سيد الشهداء، ١٩١/ ١.
٢٦ الحسون، محمد، اعلام النساء المؤمنات، ط٢ (ايران: دار الاسرة للطباعة والنشر، د.ت.)، ٣٩٣.
٢٧ التستري، جعفر، الخصائص الحسينية، ط١ (قم المقدسة: المكتبة الحيدرية، د.ت.)، ٢٣٢.

أقدم هديت هاديا مهديا فاليوم تلقى جـــدك النبيا
وحسنا والمرتضى عليـــا وذا الجناحين الفتى الكميا
وأسد الله الشهيد الحيا

فقال الإِمام الحسين ﷺوأَنا أَلقاهما على أَثر، فحمل على الأَعداء وهو يقول:

أَنا زهير وأَنا ابن القين أَذودكم بالسيف عن حسين

فقتل مائة وعشرين، ثم عطف عليه كُثير بن عبد الله الصعبي والمهاجر بن اوس فقتلا، فوقف عليه الإِمام الحسين ﷺ، وقال: لا يبعدنك الله يا زهير ولعن قاتليك لعن الذي مسخوا قردة وخنازير[٢٨].

ثالثا: الرباب بنت امرؤ القيس.

هي الرباب بنت امرئ القيس بنت عدي بن أوس بن جابر بن كعب بن عليم الكندي، أُمّها الهند بنت الربيع الكندي، تزوجها الإِمام الحسين ﷺسنة ١٩هـ، وهي أَوَّل زوجاته، انجبت له أَربعة من الاولاد هم: السيدة فاطمة الكبرى وهي اكبر اولاده. والسيدة سكينة والسيدة رقية. وعبد الله الرضيع.

ولدت في "دومة الجندل"، ونشأت هناك على الأصالة، وكان أبوها قد أسلم عام ١٠هـ ووفد على الرسول ﷺ وعاد إِلى دياره، وشبت الرباب في الإسلام فلم تعرف ديناً غيره إِذْ كانت صغيرة عندما أسلم أبوها، ولما كان عام ١٩هـ صاحبت أباها إِلى المدينة مع شقيقتها فخطبها الإِمام علي ﷺلابنه الحسين ﷺ، وعاشت منذ ذلك الوقت في كنف الحسين ﷺ، وأخذت من منهله الصافي فجمعت بين أصالة المنشأ المقرون بالصفاء النفسي والمفاهيم العربية، وبين أصالة النشأة حيث مكارم الأخلاق التي أخذتها من منهلها العذب مباشرة حيث الإِمام الحسين ﷺوأبوه أمير المؤمنين ﷺ[٢٩].

وصفت الرباب بأوصاف الكمال إِذْ قيل عنها: إِنَّها كانت من خيار النساء أدباً وعقلاً وجمالاً وشعراً وفضلاً[٣٠]، وقد رثت زوجها الإِمام الحسين ﷺقائلا:

٢٨ الكعبي، مقتل الإمام الحسين، ٥٠.
٢٩ محمد، دائرة المعارف الحسينية، ٢٦٠/ ١٥.
٣٠ محمد، ٢٦٤/ ١٥.

إن الذي كان نوراً يستضـــاء به في كربـــــلاء قتيل غير مدفونِ
إنّ الذي كان نوراً يُستضـــاء به بكَربلاءَ قتـــــيلٌ غير مدفونِ
سِبْطَ النبيّ جَزَاك الله صـــالحةً عنا وجُنِّبتَ خُســـران الموازينِ
قد كنت لي جَبَلاً صعْباً ألـوذ به وكنت تصحبنـا بالرُّحم والدِّين
من لليتامَى ومن للسائلينَ ومَن يُغْنِي ويَأوِي إليـــه كلُّ مسكين
والله لا أبتغي صهراً بصهـركُم حتى أغيَّبَ بين الرمل والطين[٣١]

وكان الإمام الحسين ﷺيجلّها كما هو شأنه مع أهل الفضل والإيمان، وقد وجد فيها الطيبة والطهارة والإيمان الصادق فقال في حقها أبياتاً من الشعر حين عوتب على شدَّة حبِّه لها ولابنتها سكينة،[٣٢] قائلا:

لَعَمرِكَ إنَّنـــي لأُحِـــبُّ دَاراً تَحِلُّ بِها سُكينـــةُ والربَـــــابُ
أُحبُّهُمَا وأبذل جُلَّ مَـــــالِي وَليـــس لِلائِمِي فيها عِتابُ[٣٣]

وكانت السيدة رباب قد رافقت زوجها الحسين ﷺ ومعهما ابنتاهما سكينة ورقية إلى معركة الطف بينما ظلَّت فاطمة في المدينة عند أم سلمة لوعكة صحية أصابتها[٣٤]. ولها من المواقف العظيمة في عاشوراء وبعده، فقدت أَغلى ما تملك زوجها الإمام الحسين ﷺ وولدها الرضيع، وتعرضت لكلِّ المصائب التي جرت على أَهل بيت النبوة.

قال ابن الاثير: (وكان مع الحسين امرأته الرباب بنت امرئ القيس وهي أم ابنته سكينة وحملت إلى الشام فيمن حمل من أهله، ثم عادت إلى المدينة فخطبها الأشراف من قريش، فقالت: ما كنت لأتخذ حماً بعد رسول اللهﷺوبقيت بعده سنة لم يظلها سقف بيت حتى بليت وماتت كمداً)[٣٥]. ومن وفائها لزوجها أنها أقامت له مأتماً تبكيه ليل ونهار وبكت النساء معها حتى جفَّت

٣١ الأصفهاني، أَبو الفرج علي بن الحسين القرشي، الاغاني، ط١ (بيروت: دار الفكر، د.ت.)، ٢٩٤/ ٤.
٣٢ محمد، دائرة المعارف الحسينية، ٢٦٤/ ١٥.
٣٣ البلاذري، أحمد بن يحيى، جمل انساب الاشراف، ط١ (بيروت: دار الفكر، د.ت.)، ١٩٦/ ٢.
٣٤ محمد، دائرة المعارف الحسينية، ٢٦٤/ ١٥.
٣٥ ابن الاثير، عز الدين علي بن أبي كرم الشيباني، الكامل في التاريخ، ط١ (بيروت: دار الكتاب العربي، ٢٠١٠)، ١٩١/ ٣.

دموعهن، فأعلمتها بعض جواريها بأَنَّ السويق يسيل الدمعة، فأمرت أن يصنع السويق وقالت: إنما نريد أن نقوى على البكاء[٣٦].

اخلاقية الموقف:

ويمكن تلخيص أَخلاقية الموقف في ثلاثة أُمور هي:

أَوَّلا: الايثار: تجلَّت أَسمى صور الايثار في مواقف النسوة اللاتي آثرن الآخرة على زخرف الدنيا، فمثلا نجد أَنَّ دلهم زوجة زهير كان زوجها تاجرا وتعيش براحة من الدنيا بوجود زوجها، الا انَّها تركت كلَّ هذا وآثرت أنْ تعيش أَرملة وحيدة على تلك المظاهر الدنيوية. والمفارقة العجيبة في هذا الموقف بأَنَّ زهيرا في بداية الامر لم تكن له الرغبة في الالتحاق، فكل الذي حصل هو تشجيع دلهم له ودفعه في إِجابة الإِمام الحسين ﷺ، ومن المفترض أَنْ تكون المسالة عكسية فالرجل إِذا أَراد أنْ يلتحق في أيِّ حرب تمنعه زوجته أَنْ يصيبه أَذى أو لعلها تفقده، فالمعادلة في كربلاء معكوسة تماماً.

ثانيا: الاشتراك في المصير: من أعلى مفاهيم العطاء والتضحية بذل الانسان نفسه الغالية التي أَنفس ما يملكها في سبيل طريقه الذي يؤمن به. وهذا ما جسده الإِمام الحسين وكذلك أَهل بيته وانصاره، فقد بذلوا انفسهم تجسيدا للموقف الذي يتبنونه، وهذا سمو العطاء قد جسدته «قمرى» زوجة عبد الله بن عمير الكلبي، فلم تكتفي بالتشجيع او الدعاء بل ضحت بنفسها لتكون اول شهيدة من النساء في واقعة كربلاء، حبا منها وايمانا بلقاء الله تعالِى.

ثالثا: الوفاء: مثلت الرباب زوجة الإِمام الحسين ﷺارقى معاني الوفاء، فكانت بحق المراة الوفية لزوجها، حتى ان عظم مصيبة الإِمام الحسين قد غطت على مصيبة ولدها الرضيع، فأخذت تندب الإِمام الحسين ليلا ونهارا حتى نحلت وجفت الدموع من عيونها وقد استمرت على هذا الحال حتى توفيت كمدا لوعة واشتياق للسيد الشهداء الإِمام الحسين ﷺ.

---

٣٦ نص الحديث روى الكليني عن علي بن محمد، عن سهل بن زياد، عن محمد بن أحمد، عن الحسن بن علي، عن يونس، عن مصقلة الطحان قال: سمعت أبا عبدالله ﷺيقول: لما قتل الحسين ﷺأقامت امرأته الكلبية عليه مأتما وبكت وبكين النساء والخدم حتى جفت دموعهن و ذهبت فبينا هي كذلك إذا رأت جارية من جواريها تبكي ودموعها تسيل فدعتها فقالت لها: مالك أنت من بيننا تسيل دموعك؟ قالت: إني لما أصابني الجهد شربت شربة سويق قال: فأمرت بالطعام والاسوقة فأكلت وشربت وأطعمت وسقت وقالت: إنما نريد بذلك أن نتقوى على البكاء على الحسين ﷺ. رقم الحديث: (٩)، باب مولد الامام الحسين بن علي ﷺ.

المبحث الثالث: دورها الاجتماعي (الاخوة) وانعكاسه على الاخلاقي.

خُصص هذا المبحث بالسيدة زينب بنت أَمير المؤمنين عليه السلام وعن بعض مواقفها الكبيرة والعظيمة التي لا يمكن لي ولا لغيري أنْ يحصيها او يختزلها بورقات، فهي أَكبر من الوصف، فالنهضة الحسينية جميعها بعد عاشوراء قادتها السيدة زينب كما انَّ القيادة قبل عاشوراء كانت للإمام الحسين عليه السلام. فأحاول جاهدا أَنْ أَذكر شذرات من المسيرة الحسينية الحافلة بالبطولة والتضحية وبما يناسب البحث.

قد أَوصى الإِمام الحسين عليه السلام أُخته بعدة وصايا منها: مهلا أُخيَّه لا تشقي علي جيبا ولا تخمشي علي وجها ولا تشمتي بناء الأَعداء، وأوصاها بالنساء والأَطفال. فقالت له: طب نفسا وقر عينا فانَّك ستجدني كما تحب ان شاء الله.

فبعد مقتل الإِمام الحسين عليه السلام قد أَمر عمر بن سعد بحمل النساء إِلى الكوفة فمروا بهن على الأَجساد الممزقة ليحرقوا بها قلوب النسوة، فندبت زينب أَخيها بصوت حزين وقلب كئيب: وا محمداه، صلى عليك مليك السماء، هذا حسين بالعراء، مرمل بالدماء، مقطع الأعضاء، وا ثكلاه، وبناتك سبايا، إِلى الله المشتكى وإِلى محمد المصطفى وإِلى علي المرتضى وإِلى فاطمة الزهراء وإِلى حمزة سيد الشهداء. وا محمداه، وهذا حسين بالعراء، تسفي عليه ريح الصباء، قتيل أولاد البغايا. بأبي من أضحى عسكره في يوم الأثنين نهبا، بأبي من فسطاطه مقطع العرى، بأبي من لا غائب فيرتجى، ولا جريح فيداوى، بأبي من نفسي له الفداء، بأبي المهموم حتى قضى، بأبي العطشان حتى مضى، بأبي من يقطر شيبه بالدماء، بأبي من جده رسول اله السماء، بأبي من هو سبط نبي الهدى، بأبي محمد المصطفى، بأبي علي المرتضى، بأبي خديجة الكبرى، بأبي فاطمة الزهراء سيدة النساء، بأبي من ردت عليه الشمس حتى صلى. فأبكت والله كل عدو وصديق[٣٧]. ثم رفعت كلتا يديها وقالت: **اللهم تقبل منا هذا القربان**[٣٨].

وعلى الرغم مما شاهدته من مصائب واحزان ليلة عاشوراء ويومها كانت تواجها بكل ما اويت من قوة الصبر والعنفوان، وكان تفرغ ما تكظمن من أَحزان في محرابها اذا سكنت النفوس وخففت الاصوات تناجي ربها، وتصلي النوافل، جاءت وصية الإِمام الحسين عليه السلام لها في وداعه الأخير: يا أختاه لا تنسيني في نافلة الليل ولم تترك نافلة الليل حتى ليلة عاشوراء إِذْ تقول فاطمة

٣٧ موسى، الملهوف على قتلى الطفوف، ١٨٠–٨١.
٣٨ الحسني، سيرة الائمة الاثنى عشر، ط١ (قم المقدسة: انتشارات المكتبة الحيدرية، د.ت.)، ٧٦/ ٢.

بنت الحسين ﷺ: وأما عمتي زينب فإنها لم تزل قائمة في تلك الليلة في محرابها تستغيث إِلى ربها فما هدأت لنا عين ولا سكنت لنا[٣٩]. وكانت تدعو بهذا الدعاء:

(يا من لبس العز وتردى به، سبحان من تعطف بالمجد وتكرم، سبحان من لا ينبغي التسبيح إلا له جل جلاله، سبحان من أحصى كل شيء عدداً بعلمه وخلقه وقدرته، سبحان ذي العزة والنعم، سبحان ذي القدرة والكرم، اللهم إني أسألك بمعاقد العز من عرشك، ومنتهى الرحمة من كتابك، وباسمك الأعظم وجدك الأعلى، وكلماتك التامات التي تمت صدقاً وعدلاً، أن تصلي على محمد وآل محمد الطيبين الطاهرين، وأن تجمع لي خيري الدنيا والآخرة، اللهم أنت الحي القيوم أنت هديتني وأنت تطعمني وتسقيني، وأنت تميتني وتحييني، فارحمني برحمتك يا أرحم الراحمين)[٤٠].

وكانت العين الراعية لكل العائلة نساء واطفالا في كربلاء فهي حركة لا تهدأ، فتارةً تحضن أطفال أَهل البيت ﷺ الذين كانت تصمّ اذانهم وتروّعهم خيول العدو الصاهلة ووقع السيوف النازلة فتكاً بالأجساد الطاهرة وتارةً أخرى تواسي النساء واليتيمات الناحبات الباكيات على فقد الاباء والأخوة والأبناء وثالثة تساعد الرجال وتشد من أزرهم وهم يتأهبون للنزول إِلى الميدان ومواجهة الأعداء[٤١].

إِلى ان شارفوا الكوفة اجتمع أَهلها للنظر إليهم، غصت الطرقات في وجوه أَهل البيت، فجعل أَهل الكوفة ينوحون ويبكون، قال بشير بن خزيم الاسدي: ونظرت إِلى زينب ابنت علي ﷺ يومئذ، فلم أر خفرة قط أنطق منها، كأنها تفرغ من لسان أمير المؤمنين ﷺ، وقد أومأت إِلى الناس أن اسكتوا، فارتدت الأنفاس وسكنت الأجراس، ثم قالت: (الحمد لله، والصلاة على جدي محمد وآله الطيبين الأخيار. أما بعد، يا أَهل الكوفة، يا أَهل الختل والغدر، أتبكون؟! فلا رقأت الدمعة، ولا هدأت الرنة، إنما مثلكم كمثل التي نقضت غزالها من بعد قوة أنكاثاً، تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم. ألا وهل فيكم إلا الصلف والنطف، والصدر والشنف، وملق الإماء، وغمز الأعداء؟! أو كمرعى على دمنة، أو كفضة على ملحودة، ألا ساء ما قدمت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون...الخ)[٤٢].

---

٣٩ النقدي، جعفر، زينب الكبرى، ط٤ (النجف الاشرف: منشورات المكتبة الحيدرية، د.ت.)، ٦١.
٤٠ محمد، دائرة المعارف الحسينية، ٣٥٥/ ١٥.
٤١ مركز نون للتأليف والترجمة، مواقف من كربلاء، ط١ (بيروت: شبكة المعارف الاسلامية، د.ت.)، ٢٣.
٤٢ موسى، الملهوف على قتلى الطفوف، ١٩٢.

ثم ادخلوا قصر الامارة حيث مجلس ابن زياد، فجلست السيدة زينب ناحية من القصرة متنكرة، فقال عبيد الله بن زياد: من هذه الجالسة؟ فلم تكلمه، فقال ذلك ثلاثا كل ذلك لا تكلمه، فقال بعض امائها: هذه زينب ابنة فاطمة[٤٣].

وقال: الحمد لله الذي فضحكم وأكذب أحدوثتكم!!! فقالت: إنما يفتضح الفاسق ويكذب الفاجر، وهو غيرنا. فقال ابن زياد: كيف رأيت صنع الله بأخيك وأَهل بيتك؟ فقالت: ما رأيت إلا جميلاً، هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل، فبرزوا إِلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم، فتحاج وتخاصم، فانظر لمن الفلج يومئذ، هبلتك أمك يأبن مرجانة[٤٤]. إِلى آخر كلامها.

ثم التفت ابن زياد إِلى علي بن الحسين عليه السلام فقال: من هذا فقيل علي بن الحسين. فقال: أ ليس قد قتل الله علي بن الحسين. فقال: علي عليه السلام قد كان لي أخ يقال له: علي بن الحسين قتله الناس.

فقال: بل الله قتله. فقال: علي عليه السلام الله يتوفى الأنفس حين موتها و التي لم تمت في منامها. فقال: ابن زياد ألك جرأة على جوابي اذهبوا به فاضربوا عنقه، فسمعت به عمته زينب فقالت: يا ابن زياد إنك لم تبق منا أحدا فإن كنت عزمت على قتله فاقتلني معه[٤٥].

وهكذا موقفها في الشام أَمام أَعتى الطغاة يزيد بن معاوية (عليهما لعنة الله) فبعض ما تفوهت به السيدة الكبرى قائلة: (...ولئن جرت علي الدواهي مخاطبتك، إنِّي لأستصغر قدرك، وأستعظم تقريعك، واستكثر توبيخك، لكن العيون عبرى، والصدور حرى. ألا فالعجب كل العجب لقتل حزب الله النجباء بحزب الشيطان الطلقاء، فهذه الأيدي تنضح من دمائنا، والأفواه تتحلب من لحومنا، وتلك الجثث الطواهر الزواكي تتناهبها العواسل وتعفوها أمهات الفراعل، ولئن اتخذتنا مغنماً لتجدنا وشيكاً مغرماً، حين لا تجد إلا ما قدَّمت يداك، وما ربك بظلام للعبيد، فإِلى الله المشتكى، وعليه المعول...)[٤٦].

٤٣ الازدي، مقتل الإمام الحسين، ٢٠٥.
٤٤ موسى، الملهوف على قتلى الطفوف، ٢٠١.
٤٥ موسى، ٢٠٢.
٤٦ موسى، ٢١٥.

اخلاقية الموقف

أَوَّلا: الشجاعة: صفة أَخلاقية وتكون حالة وسطية بين الجبن والتهور، واذا فقد الانسان الشجاعة يقع بمستنقع الذلة. والسيدة زينب عليها السلام على الرغم من انَّها فقدت كل ما تملك من أَهل بيتها وأَصبحت امرأة كسيرة، وقد سبيت من بلد إِلى بلد الا ان مواقفها يعجز عنها البيان ويكل اللسان ان يصف ما تملكه من شجاعة في مواجهة أَعتى طاغوت ومستهتر بالقيم الانسانية، فلم يثنيها عزمها من أَنْ تفصح بالحقيقة التي لا يريدها هو وتواجهه بالكلمة الصادقة على الرغم من جراحاتها الملتهبة. فتقول ليزيد: (**ولئن جرت علي الدَّواهي مخاطبتك، أني لأستصغر قدرك، وأستعظم تقريعك، واستكثر توبيخك**) هذه ليست مجرد كلمات عابرة او صورة بيانية من نثر منتظم فحسب. هذه المواجهة بين لسان امير المؤمنين عليه السلام ويزيد الأَموي الذِّي يمثل أَعلى رأس في دولة يقبع تحتها ويقر بشرعيتها كل من سائر على نهجهم ورضيهم قادة دون أَهل البيت عليهم السلام.

ثانيا: البصيرة: كانت السيدة زينب عليها السلام على بصيرة من أَمرها، وقد أَعدت اعدادا كاملاً لتحمل المسؤولية وأَدتها على اتم وجه واكملت النهضة الحسينية كما خطط وأُريد لها ، وقد شهد الإِمام زين العابدين لها بهذه إِذْ قال: (**أنت بحمد الله عالمة غير معلمة، فهمة غير مفهمة**)[٤٧]. ولو لا السيدة زينب عليها السلام لما تحقق المبتغى على الاطلاق. فكانت مأساتها عبارة عن يقظة لضمائر الناس على مدى التاريخ.

لذا قال الشيخ القرشي «رحمه الله»: (استمرار خلود مأساة الإِمام الحسين عليه السلام، واستمرار فعالياتها في بث الاصلاح الاجتماعي على امتداد التاريخ هو حمل ودائع الرسالة وعقائل الوحي مع الإِمام، فقد قمن بدور مشرق ببلورة الرأي العام، فحمن راية الايمان التي حملها الإِمام العظيم عليه السلام ونشرن مبادئه العليا التي استشهد من اجلها، فقد انبرت حفيدة الرسول صلى الله عليه واله وسلم وشقيقة الحسين عليه السلام السيد زينب بنت امير المؤمنين عليه السلام إِلى ساحات الجهاد، وهي تدك حصون الظالمين، وتدمر جميع ما أَحرزوه من انتصارات في قتل أَخيها، وتلحق بهم الهزيمة والعار، وتملا بيوتهم مأساة وحزنا)[٤٨].

٤٧ الطبرسي، ابو منصور أحمد بن علي، الاحتجاج، ط١ (قم المقدسة: انتشارات الشريف الرضي، د.ت.)، ٢/ ٢٧.
٤٨ القرشي، باقر، موسوعة سيرة أَهل البيت عليهم السلام، ط٢ (النجف الاشرف: مكتبة الإِمام الحسن، د.ت.)، ٢٩٩/ ١٣.

ثالثا: العقيدة الراسخة: كان للسيدة زينب ﷺ موقفٌ يكشف عن العقيدة الراسخة في المحافظة والاستمرار على خط الإِمامة المتمثل بالإِمام علي بن الحسين السجاد ﷺ، عندما تعرض للقتل في مجلس ابن مرجانة فحالت بينه وبين الموت، وأَصرَّت على ان تموت قبله، ففسَّر ابن مرجانة هذا الفداء والتضحية على هو الرحم الجامع بينهما، فقال: (عجبا للرحم والله أني لأظنها ودت أني قتلتها معه، دعوه اراه لما به)[٤٩]، وهذا التفسير مبني على الجهل بالإِمام السجاد ﷺ كإمام مفترض الطاعة وانه حجة الله على خلقه، فأرادت ان تضحي بنفسها دون هذه العقيدة الواجبة، وكيف لا وهي بنت أُمِّ أَبيها التي دافعت عن إِمامها في حادثة الباب.

قال العقاد في هذا الصدد: (وقد كانت زينب رضي الله عنها حقا جديرة بنسبها الشريف في تلك الرحلة الفاجعة التي تهدّ عزائم الرجال ، كانت كأشجع وأَرفع ما تكون حفيدة محمد وعلي وأُخت الحسين وكتب لها أَنْ تحفظ بشجاعتها وتضحيتها بقية العقب الحسيني من الذكور ولولا لانقرض من يوم كربلاء)[٥٠].

رابعا: رضا الله: فلسفة عاشوراء ونهضة الإِمام الحسين ﷺقامت على شعار: (إِلهي إِنْ كان هذا يرضيك فخذ حتى ترضى)، فرضا الله سبحانه هو الغاية المرتجاة من القيام، فبتدأ به الإِمام الحسين وختمته السيدة زينب.

ما تركت السيدة زينب ﷺ تهجدها في اقسى الظروف، وهي ليلة الحادي عشر من محرم، فقد روى الإِمام زين العابدين انه قال: (**رايتها تلك الليلة تصلي من جلوس**)[٥١] ، وقال ايضا: (**ان عمتي مع تلك المصائب والمحن النازلة بها في طريقنا إِلى الشام ما تركت نوافلها الليلة**). فهذا تعلقها بالله تعالِى، وذوبانها فيه[٥٢]

٤٩ الكعبي، مقتل الإِمام الحسين، ١١٧.
٥٠ العقاد، عباس محَمود، أبو الشهداء الحسين بن علي، ط١ (ايران: المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية، د.ت.)، ٢٦٤.
٥١ جعفر، زينب الكبرى، ٦١.
٥٢ جعفر، ٦١.

النتائج

وبعد هذه المواقف العظيمة والتضحية الكبيرة من نساء الطف وأَدوارهن الاجتماعية التي انعكست بظلها على اخلاقية الموقف، اختم البحث بأهم النتائج التي توصلت إليها:

١-ان الحالة النسوة الاجتماعي في عاشوراء يكشف مدى ارتباطهن بالنهضة الحسينية ارتباطا وثيقا، كما انَّه يبين لنا الدور الأَساسي الذي مارسنه في انجاح النهضة المباركة واعطائها بعدا اخلاقيا ينسجم مع روحها ومبادئها التي خطها الإِمام الحسين ﷺلها.

٢-مكانة المرأة الحقيقية التي حظيت بها عند الإِمام الحسين ﷺ، فقد تجلت في أَسمى صورها الانسانية، فقد أَشركها الإِمام الحسين ﷺفي اهم مشروع على الطلاق، واوكل لهن القيادة في ظروف حرجة جدا لاستكمال المسيرة الحسينية، وهذا كله يعكس نظرة الاسلام للمرأة بعد ما كانت تعيش واقعا مريرا.

٣-المرأة بتكوينها الفسلجي الطبيعي كائن مليء بالأحاسيس والمشاعر الجياشة، وتظهر هذه عندما تتعرض لفقد الأَحبة وربما تفقد صوابها في التعامل مع الأَحداث، فتكون مذهولة، وتميل بتصرفها صوب العاطفة أَكثر من ميلها العقلي، بينما نساء كربلاء كل مواقفهن عقلائية أَخلاقية بامتياز على الرغم مما حلَّ بهنَّ من مصائب تشيب لها الرؤوس، وهذا يدلُّ بطبيعته على النفوس الكبيرة التي يحملنها، والقيم التربوية التي نشئن عليها، والايمان الراسخ في قضيتهن.

٤-لم يختصر دور المرأة في عاشوراء على الحضور فقط بل هناك أَدوار لهن كبيرة ومهمة، فمثلا ام البنين فاطمة بنت حزام الكلابية «رضوان الله تعالى عليها» لم تحضر واقعة الطف الا ان دورها في تربية الأولاد كان بمثابة الجيش للإمام الحسين ﷺونصروه نعم النصرة، وهذا كله يعود إِلى تلك المرأة العفيفة التي أَعدَّت أَولادها لهذا اليوم.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم
الازدي، أبو مخنف، لوط بن يحيى. مقتل الإمام الحسين. د.ط. قم: جاجخانة علمية، د.ت.
الحسني. سيرة الائمة الاثنى عشر. ط١. قم المقدسة: انتشارات المكتبة الحيدرية، د.ت.
الرحمن، بنت الشاطئ، عائشة عبد. السيدة زينب. ط١. بيروت: دار الكتاب العربي، د.ت.
الشيباني، ابن الاثير، عز الدين علي بن أبي كرم. الكامل في التاريخ. ط١. بيروت: دار الكتاب العربي، ٢٠١٠.
الصدوق. ابو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي. ط١. بيروت: مؤسسة الأَعلمي للمطبوعات، د.ت.
القرشي، الأصفهاني، أَبو الفرج علي بن الحسين. الاغاني. ط١. بيروت: دار الفكر، د.ت.
الكاشي. الطريق إلى منبر الحسين لنيل سعادة الدارين. ط٣. قم المقدسة: انتشارات المكتبة الحيدرية، د.ت.
الكعبي. مقتل الإمام الحسين. ط١. قم المقدسة: المكتبة الحيدرية، د.ت.
الله، المحلاتي، ذبيح. فرسان الهيجاء في تراجم اصحاب سيد الشهداء. ط١. قم المقدسة: المكتبة الحيدرية،د.ت.
الموسوي، الزنجاني، ابراهيم. وسيلة الدارين في انصار الحسين. د.ط.، د.ت.
باقر، القرشي،. موسوعة سيرة أَهل البيت عليهم السلام. ط٢. النجف الاشرف: مكتبة الإمام الحسن، د.ت.
جعفر، التستري،. الخصائص الحسينية. ط١. قم المقدسة: المكتبة الحيدرية، د.ت.
جعفر، النقدي،. زينب الكبرى. ط٤. النجف الاشرف: منشورات المكتبة الحيدرية، د.ت.
حسين، آل كاشف الغطاء، محمد. نبذة من السياسية الحسينية. د.ط. بيروت: دار المحجة البيضاء، د.ت.
عباس، القمي،. نفس المهموم في مصيبة سيدنا الحسين المظلوم. ط١. بيروت: دار المحجة البيضاء، د.ت.
علي، الطبرسي، ابو منصور أحمد بن. الاحتجاج. ط١. قم المقدسة: انتشارات الشريف الرضي، د.ت.
علي، الطبري، عماد الدين الحسن بن. كامل البهائي. ط١. قم المقدسة: انتشارات المكتبة الحيدرية، د.ت.
فوزي، آل سيف،. من قضايا النهضة الحسينة اسئلة وحوارات. ط٤. اطياف، د.ت.
محسن، الأمين،. لواعج الاشجان في مقتل الإمام الحسين. ط١. الكويت: مكتبة الالفين، د.ت.
محمد، الحسون،. اعلام النساء المؤمنات. ط٢. ايران: دار الاسرة للطباعة والنشر، د.ت.
محمد، الكرباسي، محمد صادق. دائرة المعارف الحسينية. ط١. لندن: المركز الحسيني للدراسات، د.ت.
محمود، العقاد، عباس. أبو الشهداء الحسين بن علي. ط١. ايران: المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية، د.ت.
محمود، صبحي، أحمد. نظرية الإمامة لدى الشيعة الإثنى عشرية. ط١. بيروت: دار النهضة العربية، د.ت.
موسى، ابن طاووس، علي بن. الملهوف في على قتلى الطفوف. ط٣. ايران: دار الاسرة للطباعة والنشر، د.ت.
والترجمة، مركز نون للتأليف. مواقف من كربلاء. ط١. بيروت: شبكة المعارف الاسلامية، د.ت.
يحيى، البلاذري، أحمد بن. جمل انساب الاشراف. ط١. بيروت: دار الفكر، د.ت.